مقالات العثماني

الجزء الأول

مقالات العثماني

الجزء الأول

محمد تقي العثماني

مكتبة معارف القرآن
كراتشي - باكستان

حقوق الطبع محفوظة

ملتزم الطبع : خضر اشفاق القاسمی

الطبعة : محرم الحرام ١٤٣٦ھ - نومبر ٢٠١٤ء

اسم الناشر : مکتبۃ معارف القرآن کراتشی - باکستان

الهاتف : +92-21-35031565, 35123130

البريد الألكتروني : info@quranicpublishers.com, mm.q@live.com

الموقع على الأ نترنت : www.ONLINE SHARIAH.com

يطلب من:

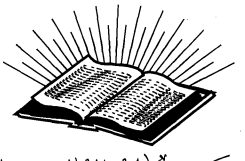

مکتبہ معارف القرآن کراچی ١٤

(Quranic Studies Publishers)

تطلب جميع كتبنامن:

☆ مكتبه دارالعلوم، كراتشى

☆ ادارة المعارف، كراتشي

☆ دارالاشاعت، اردو بازار، كراتشى

☆ بيت القرآن، اردوبازار، كراتشى

☆ ادارۂ اسلاميات، كراتشي / ١٩٠ انارکلی، لاهور

☆ بيت الكتب، كراتشى

وايضاً يوجد عند جميع المكتبات المشهورة

كلمة الجامع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،

فهذه مجموعة لمقالات قيمة كتبها أستاذى المفضال العلامة فقيه النفس سماحة الشيخ المفتى محمد تقي العثماني (حفظه الله تعالى ورعاه وأدام ظلاله الميمونة علينا بالصحة والعافية السابغتين)، وقد سبق أن نشرت مجموعة مقالاته الفقهيّة باسم "بحوث فى قضايا فقهية معاصرة" الّتى حازت قبولا بالغا فى الأوساط العلميّة بحمد الله. و أما هذه المجموعة فهي تشتمل على ما تيسر لى العثر عليه من المقالات والكتابات في شتّى الموضوعات الحيّة التى تناولها سماحته بقلمه وفكره الموفّقين حسبما اقتضت الظروف فى تناوب الأدوار منذ عنفوان شبابه ، ومعظم هذه المقالات لم تطبع بعد مجتمعة.

وقد منح الله تعالى لي الفرصة لجمع هذه المقالات بإذن من سماحته، كما أسعدنى -أجزل الله أجره- بعنايته البالغة طوال هذا العمل، ولا شكّ أن هذا العمل كان متجاوزا عن بضاعة علمي المزجاة، ولكن لم تزل أدعيةُ سماحته وتشجيعُه وتوجيهاتُه تسايرنى فى عقبات هذا السفر الطويل، وببركة ذلك أخرج الله تعالى هذه المجموعة بين أيديكم.

وأمّا عملى فى إخراج هذه المجموعة فلا يتجاوز كثيرا عن التفحص والبحث عن المقالات والكتابات فى الملفات، وشتّى المجلات وغيرها، ثمّ مراجعة سماحته

فيما مست الحاجة إليه، ثمّ قراءة الأبحاث ومقارنتها بين نسخها إذا تيسرت، خطيّتها ومطبوعتها، ومحاولة تصحيح أخطاء الطبع إن وقعت.

هذا، وقد كتب سماحة الأستاذ بنفسه أجزل الله أجره بعض التقديمات على هذه المقالات القيمة وأوضح البيئة التى كتبت فيها عدة مقالات، واسمه الكريم موجود فى آخر هذه التقديمات، كما حاولت امتثال أمره بكتابة بضعة تقديمات فى تعريف بقية المقالات.

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل لخالص وجهه الكريم وأن يتبقله وينفع به البلاد والعباد، وأن يجعله فى ميزان حسنات سماحة صاحب المجموعة وجامعها الضعيف. آمين.

أفقر العباد إلى رحمة ربه

شاكر صديق جكهورا (عفا الله تعالى عنه)

٩ ذو الحجة ١٤٣٤هـ

عقيدة

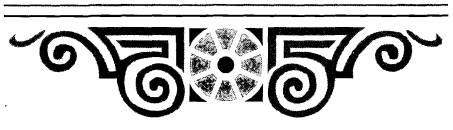

عقيدة الوحدانية
من
خلال حجة الوداع

بحث مقدم إلى ندوة الحج الكبرى لدورتها الثانية والثلاثين المنعقدة في مكة المكرمة من قبل وزارة الحج في الفترة ما بين٢-٥ ذي الحجة ١٤٢٨هـ الموافق ١٢-١٥ ديسمبر (كانون الأول) ٢٠٠٧م

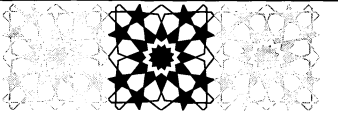

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى كل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فإن الحجة التى حجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر حياته الطيبة، وهى الحجة الوحيدة التى حجها بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، تسمى حجة الوداع، وحجة الإسلام ، وحجة التمام ، وحجة الكمال ، وحجة البلاغ،[1] لأنها لم تكن مفتصرة على أداء نسك من المناسك فحسب، ولا سفرة عادية من الأسفار، وإنما كانت إرساء لقواعد الإسلام، وتثبيتا للدين الحق القويم فى النفوس ، ورفعا لمعالمه وشعائره، وإحكاما لأحكامه وشرائعه، وبثا لرسالته الخالدة إلى البشرية جمعاء. وإن السفرة التى سافرها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلها جمعت بين عبادة ونسك، وإنابة وتضرع، وتعليم وتدريب، ودعوة وتبليغ، وتفسير قولى و عملى لأبعاد الشريعة المحمدية على صاحبها السلام التى تغطى جميع نواحى الحياة الفردية والاجتماعية. ويقول شيخنا الإمام الداعية الكبير الشيخ أبوالحسن على الندوى رحمه الله تعالى:

"وقد كانت حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خاتم النبيين، من الآيات البينات والمعجزات الخالدات، فقد كانت فريدة من بين سير الأنبياء وعباداتهم ومناسكهم فضلا عن سائر الناس، وقدكانت فريدة من نواح كثيرة. كانت فريدة

---

(١) جزء حجة الوداع، للشيخ محمد زكريا الكاندلوي،ص٤و٥، ومجمع الزوائد للهيثمي، ٣:٥٣٤ باب فى حجة الوداع، حديث٥٤٥٩ والسيرة النبوية لمحمد بن إسحاق)

من الناحية التعليمية والبلاغية، فريدة من الناحية الإصلاحية والتربوية، فريدة من الناحية الباطنية والروحية، فريدة فى مدى اهتمام الناس الذين أكرمهم الله بالسير فى ركابه، وحضورالموسم معه بتتبع آثاره وحفظ أخباره، ومراقبة حركاته وسكناته، وتسجيل غدواته وروحاته، وفى مدى اعتناء طبقات الأمة من السلف والخلف بكل ما صدر عنه صلى الله عليه وسلم فى هذاالسفر من قول أوعمل، أوعادة أوعبادة، أو نفى وإثبات، أوتقرير أوإنكار، فقها واستنباطا للأحكام، واستخراجا للجزئيات...فكانت هذه الحجة تقوم مقام ألف خطبة، وألف درس، وكانت مدرسة متنقلة، ومسجدا سيارا، وثكنة جوالة، يتعلم فيها الجاهل وينتبه الغافل، وينشط فيهاالكسلان، ويقوى فيهاالضعيف. وكانت سحابة واحدة تغشاهم فى الحل والترحال، هى سحابة صحبة النبي صلى الله عليه وسلم ، وحبه وعطفه، وتربيته وإشرافه.(٢)

وبما أن هذه الحجة الشريفة جمعت بين أنواع من التعاليم النيرة، وألوان من الهداية النبوية الخالدة، فكانت جديرة بأن تُدرس من مختلف نواحيها، ويستفاد بها فى حياتنا الفردية والاجتماعية. ولقد أحسنت أمانة ندوة الحج الكبرى التابعة لوزارة الحج بالمملكة العربية السعودية الحبيبة أن جعلت حجة الوداع موضوعا لندوة الحج الكبرى هذاالعام، ونرجو أن تكون الأبحاث المعدة فى هذه الندوة تساهم مساهمة كبيرة فى إنارة معالم حجة الوداع، وفى الفهم الدقيق لأبعادهاالواسعة. وإنى فى هده الدراسة المتواضعة أريد أن أتكلم عن عقيدة

(٢) مقدمة جزء حجة الوداع، ص١٠

الوحدانية من خلال حجة الوداع، فإنه هوالموضوع المفوض إلى فى هده الندوة. والوحدانية التى أحكمت حجة الوداع معالمها يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الاعتقاد بوحدانية الله سبحانه وتعالى.

والثانى: وحدانية الدين الحق من خلال مناسك الحج.

والثالث: وحدانية الأمة المسلمة.

وأريد أن أتكلم عن هده النقاط الثلاثة فى ضوء ما اطلعنا عليه فى وقائع حجة الوداع، والله سبحانه وتعالى هوالموفق.

وحدانية الله سبحانه وتعالى

أما وحدانية الله سبحانه وتعالى فهى الحقيقة العظمى التى لاحقيقة أحق منه وأعظم. وهى الحقيقة التى كان الإيمان بها أعظم ركن من أركان الدين القويم فى جميع شرائع الأنبياء منذ بداية البشرية، وهى التى دعا إليها جميع الأنبياء أممهم، وأكدوا أهميتها، وأوصوا ذريتهم ومتبعيهم بالاستمساك بها، وأخذالحذر كل الحذر مما يخل بإخلاص التوحيد لله سبحانه بأي طريق من الطرق. قال الله سبحانه وتعالى:

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُون.﴾

[سورة البقرة،١٣٣:٢]

وإن عقيدة التوحيد من أول ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوة الناس إليه ، وتحمّل ما تحمل من المشاق من أجلها. ولانبالغ إن قلنا إنه صلى الله عليه وسلم وقف حياته الطيبة بأسرها لتبليغ هده العقيدة ونشرها، وكانت حجة

الوداع مظهرا نيّرا لإحياء معالمها وإقامة شعائرها، وتطهير المشاعر المقدسة من أرجاس الشرك التى دسّ فيهاالمشركون فى الجاهلية.

وكان الحج من أشرف العبادات التى قام بها الأنبياء عليهم السلام، وأمر إبراهيم عليه السلام بنداء الناس جميعا إلى أداءه فى المشاعرالمقدسة، وكان من ظلم المشركين أنهم لوّثوا هذه العبادة العظيمة بعبادة الأوثان التى لما أنزل الله تعالى لها من سلطان. فأصبحت جميع مناسك الحج مشوبة بنوع من أنواع الشرك. فكانوا إذاأرادواالحج ابتدأوا بصنم من الأصنام يذهبون إليها ويُهِلّون عندها. وروت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فى الأنصار (تعنى أهل يثرب قبل إسلامهم:)

"كانوا قبل أن يسلموا يُهلّون لمناة الطاغية التى كانوا يعبدونها عندالمشلّل."(٣)

ويقول أحمد اليعقوبيّ فى تاريخه:

"فكانت العرب إذاأرادت حجّ البيت الحرام وقفت كل قبيلة عند صنمها، وصلّوا عنده، ثم تلبّوا حتى تقدّموا مكة."(٤)

فكأن هذه الأصنام كانت مواقيت لهم يحرمون عندها ويُهلّون. ثم كانوا يطوفون حول الأصنام، ويسمونه "الدُّوار" ولهذااللفظ ذكر فى شعر امرئ القيس وعنترة بن شداد، وذكر علماء اللغة أن "الدُّوار" صنم كانت العرب تنصبه، يجعلون موضعا حوله يدورون به، واسم ذلك الموضع "دُوار"(٥) وهذا ما أراده امرؤ القيس فى قوله:

فعنّ لنا سِرب كأن نعاجه عذارى دُوار فى ملاء مذيّل

---

(٣) صحيح البخارى،كتاب المناسك، باب وجوب الصفا والمروة، حديث ١٦٤٣

(٤) تاريخ اليعقوبى، ج١ ص٢٥٥ دار صادر بيروت

(٥) لسان العرب لابن منظور ٤:٢٩٧"دور"

وأخرج البخارى عن أبى رجاء العُطاردى رضى الله عنه قال:

"كنا نعبد الحجر فإذا وجدنا حجرا هو أخير منه ألقيناه، وأخذنا الآخر. فإذا لم نجد حجرا جمعنا جُثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه ثم طُفنا به."(٦)

وكانت القبائل التى تسمى "حِلّة" وهم غير الحُمس، يطوفون بالبيت عُراة وهم مشبّكون بين أصابعهم يصفرون فيه ويصفّقون.(٧) وكانوا يقولون كلمات الشرك حتى فى الطواف، فكانت تلبيتهم:

"لبّيك اللّهُمَّ لبيك، لبيك لاشريك لك إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك."

وقد أخرج مسلم فى صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

"كان المشركون يقولون: لبيك لاشريك لك، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ويلكم! قدٍ قدٍ، فيقولون: إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك. يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت."(٨)

وكذلك السعى بين الصفا والمروة تلوث بعبادة الأصنام، فجعلوا على الصفا صنما اسمه "إساف" وعلى المروة آخر اسمه "نائلة"،وكانت قريش تُهلّ عند إساف، ويتمسحون بالصنمين ويستلمونها. ويُروى أن إسافا ونائلة كانا من جُرهم، ففجر إساف بنائلة فى الكعبة فمُسِخا حجرين، فوُضعا على الصفا والمروة ليُعتبر بهما، ثم عُبدا بعد.(٩)

---

(٦) صحيح البخارى" كتاب المغازى، باب وفد بنى حنيفة، حديث ٤٣٧٦

(٧) تفسير الطبري" ٩:١٥٧

(٨) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب التلبية، حديث ٢٨١٥

(٩) كتاب المحبر، لابن حبيب ص٣١١،دائرة المعارف، حيدرآباد دكن، وأخبار مكة للأزرقى ١:١٢٠

ومن مناسك الحج الخروج إلى منى، والمبيت بها فى أيام النحر. وإن المشركين لم يتركوا هذاالمكان الشريف من مآثر الشرك. وقد أخرج الأزرقى عن محمد بن إسحق أن عمرو بن لُحىّ (وهو أول من اتخذالأصنام وسيّب السوائب) نصب بمنى سبعة أصنام، صنما على القرين، الذى بين مسجد منى و الجمرة الأولى، على بعض الطريق، ونصب على الجمرة الأولى صنما، وعلى المدعاء صنما، وعلى الجمرة الوسطى صنما، ونصب على شفير الوادى صنما فوق الجمرة العظمى، وعلى الجمرة العظمى صنما، وقسم عليهن حصى الجمار، إحدى وعشرين حصاة، يرمى كل صنم منها بثلاث حصيات، ويقال للوثن حين يرمى:

" أنت أكبر من فلان، للصنم الذي يُرمى قبله."[١٠]

ومن المناسك التى تؤدى بمنى النحر أوالذبح وحلق الرأس تقرّبا إلى الله تعالى، وإن المشركين جعلوه أيضا شعارا من شعائر الشرك، فكانوا ينحرون على الأنصاب، وعلى مقربة من الأصنام.[١١] وكذلك كانوا يحلقون رؤوسهم عند الأصنام.[١٢] وإذا فرغوا من حجهم ذهبوا مرة أخرى إلى الأصنام الكبيرة التى أهلوا عندها. وروى الأزرقي عن محمد بن إسحق أنهم إذافرغوا من حجهم وطوافهم بالكعبة لم يَحِلّوا حتى يأتواالعُزّى فيطوفون بها ويحلّون عندها ويعكفون عندها يوما.[١٣]

والحاصل أن حج أهل الجاهلية كان مغمورا بشعائر الوثنية فى كل مرحلة من مراحله، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم رفض هذه الشعائر كلها، ودعاالناس إلى التوحيد الخالص من أي شائبة من شوائب الشرك وعبادة الأصنام،

---

(١٠) أخبارمكة للأزرقى، ٢:٥٧٠

(١١) سيرة ابن هشام، مع الروض الأنف ١: ٣٥٥ و٣٥٦، دار الكتب الإسلامية

(١٢) كتاب الأصنام للكلبى ص١٤و أخبار مكة للأزرقي ١:١٢٢

(١٣) أخبار مكة للأزرقى ١:١٢٦

حتى فُتحت مكة واعتنق الإسلامَ خلق كثير، ولكن بقى كثير من المشركين على دينهم، ولم يُمنع المشركون من الحج إلى سنتين. فالحج الذى جاء بعد فتح مكة فورا اشترك فيه المؤمنون والمشركون معا، ويقول ابن إسحق رحمه الله تعالى:

"وحج الناس تلك السنة على ماكانت العرب تحج عليه، وحج بالمسلمين تلك السنة عتّاب بن أَسِيد رضى الله تعالى عنه، وهى سنة ثمان."(١٤)

فلم يكن الحج فى هذه السنة خاليا مما يفعله أهل الجاهلية من تقاليد الشرك والوثنية.

ثم جاءت سنة تسع، ويظهر من الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أراد فى مبدأ الأمر أن يحج بالناس بنفسه هذه السنة، حتى فتلت أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها قلائد هديه صلى الله عليه وسلم، وقد أخرج البخاري حديثها قالت:

"فتلت قلائد هدى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أشعرها وقلّدها-أوقلّدتها-ثم بعث بها إلى البيت، وأقام بالمدينة، فما حرُم عليه شيئ كان له حلّ.(١٥)

ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم غيّر رأيه فى الأخير، ولم يذهب للحج، وإنما بعث أبابكر الصديق رضى الله تعالى عنه أميرا للحج. ولعلّ السرّ فى عدم ذهابه صلى الله تعالى عليه وسلم أن الحج فى هذه السنة أيضا كان مختلطا بين المسلمين والمشركين الذين أدوا مناسكهم كما كانوا يؤدونها فى الجاهلية. يقول محمد بن إسحق رحمه الله تعالى:

---

(١٤) السيرة النبوية لمحمد بن إسحق ١:٥٨٩،دارالكتب العلمية، بيروت.

(١٥) صحيح البخاري، حديث ١٦٩٩ باب إشعارالبدن،

"ثم بعث أبابكر أميرا على الحج من سنة تسع، ليقيم للمسلمين حجهم، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم."(١٦)

فشاء الله تعالى أن لا يحج رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم حتى تتطهر مشاعر الحج من جميع أدران الشرك والوثنية، ويكون حجه صلى الله عليه وسلم مظهرا عمليا للتوحيد الخالص، ولا يشاركه فى ذلك أحد ممن يشوبه بشيئ من تقاليد الوثنية والجاهلية. فنزلت سورة البراءة قائلة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ . [سورة البراءة ٩:٢٨]

وعملا بهذه الآية أعلن المؤذنون فى حج تلك السنة أنه لايُسمح لمشرك أن يحج بعد هذاالعام. يقول أبوهريرة رضى الله تعالى عنه:

"بعثنى أبوبكر فى تلك الحجة فى مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى: ألاّ يحُجّ بعد هذاالعام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. قال حُميد بن عبد الرحمن: ثم أردف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وأمره أن يؤذّن ببراءة، وأن لايحُجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان."(١٧)

وبهذا هيّأ الله سبحانه وتعالى المُناخ الطيب لحج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، حتى تكون حَجّته آية من آيات التوحيد خالصة عن جميع شوائب الشرك والوثنية.

فسافر رسول الله صلى الله عليه وسلم لحجّة الوداع حين انقشع عن مشاعر

---

(١٦) السيرة النبوية لمحمد بن إسحق ١:٦٢١

(١٧) صحيح البخاري،حديث ٤٦٥٥ تفسير سورة براءة.

الحج ظلمات الشرك بأجمعها، فنوّرها بنور التوحيد وردها إلى ماكانت عليه من دين الفطرة، وأعلن لجميع الناس:

"كونوا على مشاعركم، فإنكم على إرث من إرث إبراهيم عليه السلام."(١٨)

وأعلن فى خطبته:

"أما بعدُ أيهاالناس! فإن الشيطان أيس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا."(١٩)

فكانت حجّة الوداع آية من آيات وحدانية الله سبحانه وتعالى، حيث تجلّت هذه العقيدة فى كل خطوة من خطوات المناسك من أولها إلى آخرها، والحمد لله تعالى.

ومن المؤسف أن عقيدة التوحيد التى هى ذروة سنام الإسلام، والتى لا يتصور الإسلام إلا بها، أصبح بعض المدعين للإسلام يتأولون فيها قريبا مما كان أهل الجاهلية يتأولون لشركهم. فهناك من يسجد على قبور بعض المشايخ ويطوف حولها زعما منه بأنهم يشفعونه عندالله تعالى أو يقربونه إليه زلفى، والعياذ بالله العلي العظيم. ونحن إذنتحدث عن عقيدة الوحدانية من خلال حجة الوداع يتحتم علينا أن نقوم بأداء رسالة التوحيد فى صورتها الصحيحة أمام الذين أخطأوا طريقها القويم بالوقوع فى مثل هذه الخرافات الضالة المضلة. والله سبحانه وتعالى هوالموفق.

---

(١٨) جامع الترمذي، باب ما جاء فى الوقوف بعرفات،حديث ٨٨٣، وقال الترمذي:حديث حسن صحيح.

(١٩) السيرة النبوية لمحمد بن إسحق، ١:٦٧٠، ومسند أحمد ٣:٣٥٤، وذكره الهيثمي وسكت عليه فى مجمع الزوائد ٣:٦١٩، حديث ٥٧٠٥

وحدانية الدين الحق من خلال مناسك الحج

والعنصرالثانى الذى أحكمت حجّة الوداع معالمها هو توحيد مناسك الحج. فكان أهل الجاهلية لهم طرق مختلفة فى أداء المناسك، وكانت كل قبيلة من قبائلها تتخذ ما يعجبها من التقاليد عند أداءها. وهذاالاختلاف يبدأ من أمكنة إهلالهم وتلبيتهم ويمتد إلى مواضع الوقوف فى عرفة وغيرها، حتى أنه كانت هناك قبائل لاتعترف حرمة أو قدسية لمكة ومشاعرها، ولا للأشهرالحرم مثل خثعم وطيئ وأحياء من قضاعة ويشكر والحارث بن كعب[٢٠] وكانت لهم بيوت أخرى يعظمونها مثل مايعظم غيرهم الكعبة، مثل خثعم التى كانت تحج عندذى الخلصة، وتسميها الكعبة اليمانية، وهدمها جريربن عبدالله رضى الله عنه بأمررسول الله صلى الله عليه وسلم.[٢١] أماالذين كانوا يقدسون مشاعر مكة فكانت كل قبيلة كبيرة منهم لها صنم تُهِلّ للحج من عندها، كماذكرنا فيما سبق. وكانت تلبية قريش ماذكرناه من قبل، وكان نسكهم لإساف. وذكر ابن حبيب تلبيات القبائل التى كانت تُهِلّ عند أصنام مختلفة، فبلغ عددها إحدى وعشرين تلبية، باختلاف الأصنام من إساف، والعزى، واللات، وجهار، وسواع، وشُمس، ومحرّق، وودّ، وذى الخَلَصة، ومنطبق، وعكّ، ومناة، وسعيدة، ويعوق، ويغوث، ونسر، وذى اللبا، ومرحب، وذريح، وذى الكفين، وهبل. كل هذه الأصنام كانت فى العرب، وكان لكل من ينسك عندها تلبية مختلفة من الآخر، سرد جميعها ابن حبيب فى أربع صفحات.[٢٢] وسرد اليعقوبي تلبيات قبائل مختلفة من قريش، وكنانة، وبنى أسد، وبنى تميم، وقيس عيلان، وثقيف، وهذيل، وربيعة، وحمير،

(٢٠) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على ٦:٣٥١

(٢١) صحيح البخاري،حديث٤٣٥٥ باب غزوة ذى الخلصة

(٢٢) المحبرلابن حبيب ص ٣١١-٣١٥

وهمدان، والأزد، ومذحج، وكندة، وحضرموت، وغسّان، وبُجيلة، وقضاعة، وجذام، وعكّ. ومعظم التلبيات التى ذكرهااليعقوبي زائدة على ما ذكره ابن حبيب.(٢٣)

ثم كانت أحكام الإحرام مختلفة فيما بينهم، فمثلا: قبائل من الأزد لا يحرّمون الصيد فى النسك، ويلبسون كل الثياب، ولا يدخلون من بيت ولا دار، ولا يؤويهم ماداموا محرمين، وكانوا يأكلون اللحم ويسلأون السمن، و يدّهنون ويتطيّبون. وأماالحُمس، وهم قريش وخزاعة وثقيف، والحارث بن كعب، وعامربن صعصعة، إذا نسكوا لم يسلأوا سمنا، ولم يدّخروالبنا، ولم يأكلوا لحما، ولم يدّهنوا، ولم يلبسوا فى حجهم وبرا ولا شعرا، ولم يمسّواالنساء والطيب، ولا يطأون أرض المسجد تعظيما له.(٢٤)

وكان قريش ومن جاورالحرم من القبائل الذين مر ذكرهم يسمون أنفسهم حُمسا، ويتميزون عن غيرهم من العرب فى كثير من الأحكام، ويزعمون أن لهم فضلا على غيرهم من القبائل بسبب مجاورتهم للحرم. وكانوا يعتقدون أن الحُمس هم الذين يجوز لهم الطواف فى ثيابهم. أما غيرهم الذين يُسمَّون حِلّة، فلا يجوز لهم الطواف فى ثيابهم، لكونها وسخة بذنوبهم، فكانوا يستعيرون أو يستأجرون الثياب من أحد من الحُمس، فكأن الحُمس معصومون عن الذنوب. وأما إذا لم يجدوا أحدا من الحُمس يُعيرهم أويؤجرهم ثوبه طافوا عُراة.(٢٥) وفى هذا نزل قول الله سبحانه وتعالى:

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾

[سورة الأعراف:٣١]

---

(٢٣) تاريخ اليعقوبي٢٥٦:١أديان العرب

(٢٤) المصدرالسابق ٢٥٧:١

(٢٥) صحيح البخاري، حديث ١٦٦٥، باب الوقوف بعرفة،وصحيح مسلم، كتاب التفسير